بين الموسوعة العربيّة الميسّرة ودائرة المعارف
صناعة الموسوعة باتت ضرورة

أ. أبوبكر يحيى الذهبي

لعلّ الباحث في المعجمات القديمة لا يعثر على لفظة موسوعة لكنّه حتمًا يجدها في المعجمات الحديثة؛ وهو ما يشير إلى حداثة هذه اللفظة وبالتالي إلى حداثة هذا الفرع من العلوم.

والموسوعة لغة١: كتاب يحوي كلّ العلوم والمعارف ويطلق عليه اسم دائرة المعارف.

وقد أورد معجم الهادي إلى لغة العرب في مادّة موسوع٢ : هو السِفر أو الكتاب الحاوي لعموم العلوم، والمؤنّث موسوعة.

وعند بطرس البستاني٣: هو قاموس عام لكلّ فنّ ومطلب.

وقد عرّف الأستاذ محمّد فريد وجدي٤ في مقدّمة موسوعته دائرة معارف القرن العشرين الموسوعة تعريفًا واسعًا شاملاً.

ويقابل لفظة موسوعة بالفرنسيّة: Encyclopedie

ويقابلها بالإنكليزيّة Encyclopedia :

وصناعة الموسوعات كما ذكرنا صناعة حديثة ظهرت أولى نتاجاتها أواخر القرن التاسع عشر كصناعة تامّة البنيان. ولعلّ الخائضين في هذا العلم قلّة في عالمنا العربيّ؛ ولم يشهد تاريخنا العلميّ القديم مثل هذه الأعمال، وإن كنّا قد شهدنا في أواسط العصر العباسيّ محاولات فوضويّة غير ممنهجة تماثل ولو عن بعد عمل الموسوعات كالحيوان للجاحظ.

ومن الموسوعات التي أبصرت النور في القرن الماضي :

- دائرة المعارف للمعلّم بطرس البستانيّ، وقد بدأ العمل فيها سنة ١٨٧٦م لكنّه توفّي قبل أن يكملها، ثمّ زاد عليها ابنه سليمان. وقد قام فؤاد أفرام البستانيّ بعد ذلك بإصدارها من جديد على أسس جديدة.
- دائرة معارف القرن العشرين لمحمّد فريد وجدي، وهي عبارة عن عشرة مجلّدات.
- دائرة المعارف الإسلاميّة، وهو عمل قام به مجموعة من المستشرقين تناولوا فيه كلّ ما يتعلّق بالحضارتين العربيّة والإسلاميّة.
- الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة لطوني بشارة مفرّج، طبعت سنة ١٩٦٩م.
- موسوعة المورد لمنير البعلبكي، وقد ظهرت سنة ١٩٩٠م، وتتميّز بصورها الملوّنة المكثّفة وترادف ألفاظ موادها باللغة الإنجليزية.
- الموسوعة العربيّة الميسّرة، قام بتأليفها مجموعة من المتخصّصين، وقد طبعت بمصر سنة ١٩٦٥م، وسوف أتناولها ودائرة المعارف الإسلاميّة بالدرس والتحليل والمقارنة لاحقًا.

وقد عددت في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، ما يزيد على مئة وخمسين موسوعة في العديد من مجالات العلوم والمعارف.

أ- سبب ظهور الموسوعات

تعود أسباب التأليف الموسوعيّ إلى حاجة العرب لمواكبة التطوّر الحضاريّ، عن طريق حصر المصطلحات الحديثة وتفسيرها، وإبراز الصناعات الجديدة والاكتشافات العلميّة والأثريّة، إضافة إلى ترجمة لكبار الشخصيّات العربيّة وغير العربيّة، وسرد لتاريخ أهمّ الشعوب والأمم، وضروب في علم الفلك والفنّ والجغرافيا والفلسفة والأدب وغيرها.

وظهور مثل هذه الموسوعات، مطلب حضاري لكلّ أمة تصبو إلى التقدّم والارتقاء، كما أنّ ظهورها يدلّ على وعي مثقّفيها وقاداتها

واهتمامهم بمماشاة تطوّر الأمم.

ب - أنواع الموسوعات

تُقسم الموسوعات من حيث المنهج التأليفيّ إلى قسمين، ومن حيث المضمون أيضًا إلى قسمين.

• من حيث المنهج التأليفيّ:

القسم الأول: هي الموسوعات التي تعاون على وضعها مجموعة من المتخصّصين.

من هذه الموسوعات :

- دائرة المعارف الإسلامية٥.
- الموسوعة العربيّة الميسّرة٦.

القسم الثاني: هي الموسوعات التي قام بتأليفها متخصّص واحد بأحد العلوم.

من هذه الموسوعات:

- دائرة معارف القرن العشرين٧.
- موسوعة الفلسفة٨.

ولا شكّ في أنّ الموسوعات التي تعاون على وضعها مجموعة من العلماء هي أدقّ وأشمل، ذلك أنّها جمعت جهوداً مكثّفة ومتنوّعة لثلّة من المتخصّصين، في حين أنّ الموسوعة التي قام بتأليفها متخصّص واحد تبقى أسيرة نظرة واحدة، تفتقر في كثير من الأحيان، إلى الشموليّة والدقّة.

• من حيث المضمون:

القسم الأول: الموسوعات المتخصّصة وهي الموسوعات التي تتناول موضوعًا واحدًا بالدرس والتحليل، كالقانون مثلاً أو الفلسفة أو التاريخ، وهي عادة تتكوّن من جزء أو جزئين، وهي كثيرة العدد بالنسبة للنوع الآخر من الموسوعات، وربّما كان السبب في ذلك سهولة التأليف في موضوع واحد والإحاطة به من جميع أطرافه.وقد تكون هذه الموسوعات نتاج فرد كموسوعة الفلسفة٩، وقد تكون نتاج جماعة من العلماء كالموسوعة الاقتصاديّة١٠.

القسم الثاني: الموسوعات العامّة، وهي التي تتناول كلّ فن وعلم وتلمّ بكلّ موضوع. وقد تأتي المواد فيها مفصّلة كما في دائرة المعارف الإسلاميّة، وقد تأتي مختصرة كما في الموسوعة العربيّة الميسّرة، وقد تكون نتاج فرد كما هو الحال في دائرة معارف القرن العشرين لمحمّد فريد وجدي. وقد تكون نتاج مجموعة من المتخصّصين كما هو الحال في الموسوعة العربيّة الميسّرة.

• من حيث الشكل والحجم:

١- الموسوعات الالكترونيّة:

وأشهرها على الإطلاق ويكيبيديا العربيّة وأوسعها.

- الموسوعة العربيّة العالميّة الموقع الرسميّ.
- نول.
- موسوعة موضوع.
- موسوعة المعرفة.
- دهشة الموسوعة العربيّة - موسوعة تفاعليّة عربيّة.

- الموسوعة نت.
- زهلول.
- الموسوعة . كوم.
- موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز العربيّة للمحتوى الصحيّ.

٢- الموسوعات من أقلّ من ١٠٠٠ صفحة حتى ٤٩٩٩ صفحة:

- موسوعة الغد - ط١ - ١٩٧٩ - مجلّدين - ٦٠٠ صفحة.
- موسوعة الفلسفة - ط١ - ١٩٩٦ - مجلّدين - ١٢٥٦ صفحة.
- دائرة المعارف الثقافيّة - ط١ - ٢٠٠٠ - ١٥ مجلّداً - ١٤٤٠ صفحة.
- الموسوعة المنهجيّة الحديثة، المعلوماتيّة الاتصالات والمواصلات - ط١ - ٢٠٠٢ - ١٢ مجلّداً - ١٥٤٠ صفحة.
- موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين - ط١ - ٢٠٠٣ - ٣ مجلّدات - ١٨٨٣ صفحة.
- موسوعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة - ط١ - ١٩٨٧ - ٣ مجلّدات - ١٨٩٤ صفحة.
- موسوعة المحامي العربيّ - ط١ - ١٩٨١ - ٤ مجلّدات - ٢٣٠١ صفحة.
- الموسوعة الفلسطينيّة - ط١ - ١٩٨٤ - ٤ مجلّدات - ٢٦٦٢ صفحة.
- الموسوعة العسكريّة - ط١ - ١٩٧٧ - ٤ مجلّدات - ٣٢٧٦ صفحة.
- عالم المعرفة - ط١ - ١٩٨٧ - ٢٣ مجلّداً - ٣٦٨٠ صفحة.
- موسوعة كنوز المعرفة - ط١ - ١٩٩٨ - ١٦ مجلداً - ٣٣٨٦ صفحة.

٣- الموسوعات من ٥٠٠٠ صفحة حتى ٩٩٩٩ صفحة:

- موسوعة بهجة المعرفة – ط١- ١٠ مجلّدات – ٥٠٥٠ صفحة.
- موسوعة القرآن الكريم - ط١ - ١٩٩٧ - ٩ مجلّدات - ٥٦٠٠ صفحة.
- موسوعة السياسة - ط٢ - ١٩٨٥ - ٧ مجلّدات - ٥٦٥٨ صفحة.
- موسوعة الامبراطوريّة الأميركيّة - ط١ - ٢٠٠٤ - ١٦ مجلّداً - ٦٠٩٣ صفحة.
- الموسوعة الجزائيّة المتخصّصة - ط١ - ٢٠٠٣ - ١٣ مجلّداً - ٦٥٢٧ صفحة.
- الموسوعة الفلسطينيّة - القسم الثاني - ط١ - ٧ مجلّدات - ٦٨٥٤ صفحة.
- موسوعة قانون العقوبات العامّ والخاصّ - ط١ - ٢٠٠٣ - ١٠ مجلّدات - ٧٧٠٧ صفحات.
- دائرة معارف القرن العشرين - ط٣ - ١٩٨٠ - ١٠ مجلّدات - ٨٤٢٠ صفحة.
- دائرة المعارف: قاموس عام لكلّ فنّ ومطلب - ط١ - ١٩٩٨ - ١١ مجلّداً – ٨٨٣٢ صفحة.
- موسوعة القبائل العربيّة - بحوث ميدانيّة وتاريخيّة- ط١ - ٩٥٣٣ صفحة.
- موسوعة أحداث القرن العشرين - ناصر بن محمّد الزمل - مكتبة العبيكان- ط١ -٢٠٠٦ - ٨ مجلّدات - ٥٠٢٠ صفحة.

٤- الموسوعات من ١٠٠٠٠ صفحة فما فوق:

- موسوعة دائرة المعارف الإسلاميّة - ط١ - ١٩٩٨ - ٣٣ مجلداً - ١٠٥١٨ صفحة.
- دائرة المعارف الشيعيّة العامّة - ط٢ - ١٩٩٣ - ١٨ مجلّداً - ١٠٥٦٤ صفحة.
- الموسوعة العربيّة للاجتهادات القضائيّة الجزائيّة - ط١ - ٢٠٠٠ - ١٥ مجلّداً - ١٠٨٢٤ صفحة.

ت - أهمّيّة الموسوعات

تعتبر الموسوعات مصدرًا مهمًّا للإجابة عن أسئلة تراود السائلين : مثل ماذا ومتى وأين وكيف؟

فقد يسأل الباحث مثلًا : من مؤسّس المملكة الأردنيّة؟ أو متى تأسّست جامعة الدول العربيّة؟ أو ما عجائب الدنيا السبع؟ وأين تقع؟ فالإجابة عن مثل هذه التساؤلات تكون في الموسوعات.

كما تعتبر الموسوعات مصدراً أوّليّاً للمعلومات، لكلّ من الدارس والباحث والخبير والمطّلع العادي على السواء.

والموسوعات مصدر لإرشاد القارئ الذي يريد الاستزادة من المعلومات بواسطة الببليوغرافات التي تقدّمها في نهاية مقالاتها، ممّا يساعده على إيجاد معلومات إضافيّة في أيّ موضوع. وقد تساعد كذلك في تقديم الإجابات عن عدد من الأسئلة والاستفسارات المرجعيّة التي يتلقّاها قسم المراجع.

وتُستخدم الموسوعات وخصوصًا المتخصّصة للاستفسارات المرجعيّة السريعة ولتقديم العروض الموجزة الخاصّة بموضوعات معيّنة.

ث- تنظيم المعلومات وترتيبها في الموسوعات

١. الترتيب حسب الأحرف الهجائيّة.

٢. الترتيب الموضوعيّ.

٣. الترتيب الشكليّ.

ففي الترتيب الهجائيّ هناك أسلوبان متميّزان، يهدف الأوّل إلى تقديم عدد كبير من المقالات القصيرة لتغطية المواضيع الصغيرة، وهنا تبرز الحاجة إلى العديد من الإحالات والى الكشّافات والأدلّة المرشدة للربط بين المواضيع المختلفة وتوحيد الأقسام المتعدّدة للمواضيع؛ في حين يهدف الأسلوب الثاني إلى المقالات المطوّلة التي تحوى بداخلها مواضيع أصغر وفى هذه الحالة تبرز الحالة إلى الكشّافات التحليليّة.

أمّا الترتيب المصنّف حسب الموضوعات فإنّ معظم دوائر المعارف التي ظهرت قبل بداية الطباعة كانت تُرتّب بهذه الطريقة. وتقوم فكرتها على أساس تقسيم المعرفة البشريّة إلى قطاعات معيّنة في العلوم والفنون، وترتيبها تبعًا لأهمّيّتها أو العلاقات المتبادلة بينها، سواء في الإطار العام للقطاعات أو في الترتيب الداخليّ لتفريعات كلّ قطاع. وهذا النظام المصنّف ما يزال يستعمل في كثير من دوائر المعارف وخاصّة دوائر المعارف المتخصّصة. وقد تطوّر هذا النظام وأصبح يستعمل الكشّافات الهجائيّة حتّى يمكن الوصول عن طريقها إلى المعلومات بسهولة ويسر.

وتعدّ الموسوعات مطلبًا أساسيًّا في حياة الأمم والشعوب، لتكون سندًا لرقيّها وأساسًا في تقدّمها.

الموسوعة العربية الميسّرة

- نشأتها وأسباب ظهورها :

ظهرت الموسوعة العربيّة الميسّرة بمباركة الرئيس المصري جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٥م في القاهرة. وقد وجد واضعوها أنّ الجهود التي قامت في هذا المجال جهود متواضعة، لم تعطِ الحضارة العربيّة حقّها، ولم تعط الباحث العربي حقّه. لذا عمدوا إلى إنصاف الحضارة والباحث، فأقبلوا على العلوم والمعارف والمخترعات والمكتشفات الحديثة لإعادة إخراجها إلى القراء وطلبة العلوم.

وقد رأوا أنّ الأحجام الكبيرة لا تساعد الدارس في اطّلاعه، فصنّفوا موسوعتهم في مجلّد واحد ضمّ جزأين احتويا ألفي صفحة، وقد أضافوا موادَّ جديدة مهمّة كانت ثمرة أتعابهم مكملين بذلك النقص الذي كان.

صدرت الطبعة الأولى في القاهرة عام ١٩٦٥م عن مؤسّسة دار الشعب ومؤسّسة فرانكلين للطباعة والنشر، بدعم مالي من مؤسّسة فورد الأمريكية. وقد صدرت عن دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، نسخة جديدة من الموسوعة في مجلّدين اثنين سنة ١٩٨٨م.

والطبعة الثانية عام ٢٠٠١م، أمّا الطبعة الثالثة فصدرت عام ٢٠٠٩، وتُعدّ من أضخم الأعمال الثقافيّة في ذلك العصر حيث شارك في إعدادها العديد من ذوي الخبرة في المجالات المختلفة، مثل الدكتورة سهير القلماوي والدكتور إبراهيم مدكور والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور صبحي عبد الحكيم والدكتور علي توفيق شوشة، وغيرهم من المثقّفين والعلماء، وهي مرتّبة حسب الألفبائية العربية وملحق في نهايتها مجموعة من الصور والرسوم والإيضاحات والخرائط.

- مواد الموسوعة : (ص)مصادرها وأنواعها)

لعلّ أصعب عملية واجهها واضعو هذه الموسوعة هي عملية اختيار المواد، وقد كانت موسوعة كولومبيا فايكنج دسك هي المرجع الأساسيّ للمواد الأجنبيّة من تراجم لأعلام ومصطلحات ودول وحضارات غير عربيّة، أمّا الموادّ العربيّة فجاء أكثرها جديداً، اعتُمد في اختيارها وتنسيقها على أمّات الكتب العربيّة، بما في ذلك المعاجم والتراجم والكتب الأدبيّة والعلميّة إضافة إلى منشورات ومطبوعات أعمال المجامع اللغويّة والمؤتمرات العلميّة، ولم يتوانَ المؤلّفون في البحث عن المعلومة من مصادر متعدّدة.

وقد عانى المؤلّفون كثيراً في تصنيف المواد، إذ استمرّت المشاورات والمباحثات في الأمر عاماً كاملاً، برئاسة الأستاذ محمد شفيق غربال، وبعد الدرس العميق والبحث الدقيق خلصوا إلى:

١. اختيار المواد المتعلّقة بالعصر ومتطلّباته من صناعات حديثة ودراسات مبتكرة وآراء محدثة إضافة إلى العلوم العقلية والنقلية.
٢. اختيار الأشخاص الذين أثّروا في تقدّم أمّتهم على صعيد العلم والفكر والسياسة، ومن نالوا جوائز عالمية لتفوّقهم.
٣. اختيار المدن التي لا يقلّ عدد سكانها عن خمسمئة ألف نسمة، إضافة إلى المدن المشهورة عالميّاً.
٤. إثبات المصطلحات العلميّة الحديثة، بعد تعريبها خدمة للغة والحضارة.
٥. إثبات ما توصّلت إليه العلوم والدراسات العلميّة الحديثة.

ويتفاوت حجم المادّة في الموسوعة بحسب أهمّيّتها، فالمادّة المهمّة تُفرَد لها الصفحات الطوال، كما في مادّة " أدب " التي تجاوز الحديث عنها ثلاثين صفحة، بينما المواد التي تقلّ أهمّيّة كمادّة " ثواب " لم يتجاوز الحديث عنها ثلاثة أسطر. من هنا نرى أنّ المؤلّفين حاولوا إعطاء كلّ مادّة حقّها فالتي لا تستحقّ التفصيل أوجزوا فيها والتي لا تقبل الإيجاز فصّلوا فيها.

وقد تضمّنت الموسوعة مقالات وأبحاثاً وشروحات في الطبّ والأمراض والأوبئة وعلاجاتها، وفي الأدب والتاريخ وعلم الرجال والأحداث التاريخية والجغرافيا وعلم الطبيعة والحيوان والمصطلحات الفلكيّة والاكتشافات الحديثة والعلوم الإنسانية والعقليّة، وقد امتازت مواد هذه الموسوعة بالشمول والتنوّع ولكن باختصار غير مخلّ.

- منهج الموسوعة :

تألّفت لجنة من كبار العلماء على رأسها الأستاذ محمد شفيق غربال. وتكوّنت هذه اللجنة من مجلس مديرين، ضمّ سبعة عشر مديراً ورئيسي تحرير ومحرّرين فضلاً عن ثلاثين اختصاصياً في جميع الحقول. وانكبّوا جميعاً على الدراسة الجادّة والبحث المستفيض، كلّ في مجاله فابن سينا الفيلسوف درسه متخصّصون في الفلسفة، وابن سينا الطبيب درسه أطباء، وابن سينا الكيميائيّ درسه متخصّصون في الكيمياء، ثمّ بعدها يصار إلى تهذيب المادّة وترتيبها وتنقيحها من قبل مجلس المديرين لإثباتها في الموسوعة؛ وقد استعان هذا المجلس بالخبراء الدوليّين والعرب لإنجاح عملهم، كما استعانوا برئيس تحرير موسوعتي كولومبيا وكولومبيا فايكنج دسك.

ومن الأمور التي اعتمدت في تأليف الموسوعة :

- الترتيب الألفبائيّ لموادّ الموسوعة.
- مختصرات للكلمات المتكرّرة وغالباً ما يكون الحرف الأول من الكلمة، ك (ص)ت) للفظة تونّي، و(ص)ج) للفظة جنوب، وقد أثبتت هذا المختصرات في الصفحات الأولى للموسوعة تيسيراً للقارئ.
- نظام الجداول في تفصيل بعض الموادّ، وسوف تجد الجداول في الصفحات التالية:

جدول	الصفحة
الأزمنة	١٣٠
السموم	١٠٠٣
العناصر	١٢٤٢
الأقمار الصناعية	١٣٩٦
اللغات	١٥٥٨
الموازين والمقايس	١٧٦٨
نوبل وجوائزه	١٨٥٣
الاستدراكات	١٩٩٩

- ذكر التواريخ، فلا نكاد نرى عَلَماً إلا وقد ذكر تاريخ ولادته ووفاته، ولا حرباً أو مناسبة أو اكتشافاً كذلك.
- وضع خرائط لقارّات ودول في آخر الموسوعة، وعددها تسع عشرة خريطة.
- الرسوم المتنوّعة : للأرض والإنسان والنباتات والفنون والتكنولوجيا في ثلاثين صفحة.

دائرة المعارف الإسلاميّة : (ص) نشأتها)

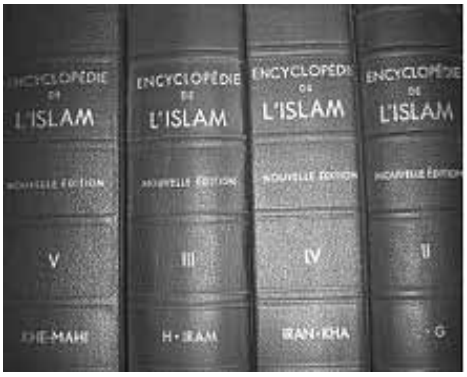

بدأ صدور دائرة المعارف الإسلاميّة سنة ١٩١٣م في هولندا كنتاج مشترك لكبار المستشرقين١١ متعددي الجنسيات في أربعة مجلّدات ضخمة، وانتهى إصدارها سنة ١٩٣٨م مع ملحق خاصّ بالفنون. وفي العام ١٩٥٤م بدأت لجنة من المستشرقين١٢ المحدثين بإخراج طبعة جديدة باللغات الإنكليزيّة، الفرنسيّة، الألمانيّة، وظهرت أولى نسخاتها عام ١٩٦٠م وانتهت في العام ٢٠٠٥، وتمّ إصدارها من قبل شركة بريل الهولندية. وقد بدأ العمل على الإصدار الثالث عام ٢٠٠٧، وتظهر المقالات والمواد الجديدة على شكل ربع-سنوي ضمن صحيفة EI٣ الربع-سنوية (ص)(Quarterly EI٣) .

وقد سارع عدد من الباحثين العرب إلى ترجمتها إلى العربيّة١٣؛ وأنهوا ترجمتها بالكامل، وأعيد طبعها بالشارقة عام ١٩٩٨م، وبلغ عدد مجلّداتها ٣٣ مجلّداً. وانطلق مشروعان آخران لدائرة المعارف الإسلاميّة أحدهما بتركيا، ويسهر على إصدارها مركز وقف الديانة التركيّ، والثاني بإيران حيث تصدر تحت عنوان دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى.

- مواد الدائرة:

تناولت دائرة المعارف الإسلاميّة الدين الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة والعلوم التي ازدهرت في مرحلة توسّع الحضارة الإسلاميّة من طبّ وفلسفة ولغة و...كما أنّها تناولت الحضارات والثقافات العالميّة التي كان لها تأثير على الحضارة العربيّة والإسلاميّة، كالحضارة اليونانيّة والهنديّة والفارسيّة.

- منهج الدائرة:

يعكس هذا العمل اهتمام الغرب الواضح بالحضارة العربيّة والإسلاميّة، وقد اعتمدوا في توزيع موادها وترتيبها:

- الترتيب الألفبائيّ.
- التفصيل والتوسّع في الشرح.
- ذكر المراجع والمصادر التي أخذت منها كلّ مادّة.
- الأبحاث الميدانيّة والمراجعات التي قاموا بها.
- وفي النسخة العربيّة المترجمة الكثير من الشروحات والتعليقات؛ وقد تفاوتت هذه التعليقات بين نقد وتصحيح أو شرح ونقض. وقد كان لعلماء الأزهر وأساتذة دار العلوم وأساتذة الجامعة المصريّة الفضل الكبير في هذه التعليقات، والتي صحّحت الكثير من المعلومات الخاطئة ووضّحت أموراً غامضة، وقد أسهمت هذه الزيادات في إغناء النسخة العربيّة.

وسوف أورد نماذج لبعض هذ التعليقات:

أ- مادّة التحريف١٤ : أورد المترجمون تصحيحاً لما جاء في النسخة الأصليّة عن التحريف؛ من أنّ التحريف هو تغيير المكتوب، والصحيح أنّ التحريف هو تغيير الكلام مكتوباً أو مسموعًا بناء على اللسان والقاموس.

ب-مادة ألف١٥ : أضاف إليها إبراهيم مصطفى شرحاً مستفيضاً بعد أن رأى أنّ المعلومات حول هذه المادّة فقيرة جداً.

ج- مادّة إبراهيم١٦ : أورد محمّد فريد وجدي تصويباً لما ذكر في هذه المادّة؛ إذ أورد المؤلّفون أنّ إبراهيم كان يهوديّاً وأنّ سيّدنا محمّدًا (ص) استعان باليهود في المدينة، وأنّ اليهوديّة جاءت بنظر الإسلام ممهّدة له؛ فردّ عليهم ردّاً علميًّا موثّقاً في ما يزيد عن الصفحة ضمن الحاشية.

وقد وردت كثير من هذه التعليقات في النسخة المترجمة، فضلاً عن انتقادات وأحكام كان يطلقها المترجمون عند بعض الموادّ، منها : هذه تخمينات لا قيمة لها – كلام كاتب هذه المادّة غير دقيق.

رغم اعتماد المرجعيّات الدينيّة في مصر والشارقة وتركيا وإيران للموسوعة ذائعة الصيت ومراجعتها وتنقيحها وطباعتها، لها إلا أنّ استخدام بعض دارسي علم الأديان المقارن من المسيحيين لها في دراساتهم وأبحاثهم جعل بعض المسلمين يتنكّرون لتلك الموسوعة وينكرون اعتماد المرجعيّات الدينيّة في مصر والشارقة وتركيا وإيران وغيرها من الدول الإسلامية لها. وقد برّر هؤلاء المتنكّرون تنكّرهم بأنّ تلك الموسوعة وضعت من جانب بعض المستشرقين الذين لا يدينون بالإسلام؛ لذلك فهم لا ينصحون بأخذ دائرة المعارف الإسلامية كمرجع ديني للعامّة، وإنما فقط لطلاب العلم الذين يدرسون عن الاستشراق والمستشرقين.

وقدأكّد ذلك ما ذكره ستيفن همفري Stephen Humphreys أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة كاليفورنيا – سانتا باربارا في كتابه "التاريخ الإسلامي: إطار البحث" Islamic History: A Framework for Inquiry : "دائرة المعارف الإسلاميّة مؤلّفة بالكامل من قبل باحثين أوروبيّين وهي لا تعبّر إلا عن النظرة والمفهوم الأوروبيّ للحضارة الإسلاميّة. وتناقض هذه المفاهيم وتختلف اختلافًا كبيرًا عن المفاهيم التي يؤمن بها ويتّبعها المسلمون أنفسهم. وما ذكر في هذه الموسوعة لا يتوافق مع التعاليم والمبادئ الإسلاميّة للمراجع الإسلاميّة كالأزهر بل يتناقض معها.

وقد ظهرت الكثير من الكتب التي تنتقد الموسوعة ومثال على ذلك كتاب دائرة المعارف الإسلامية – أضاليل وأكاذيب لإبراهيم عوض؛ وهذا الكتاب صدر عام ١٩٩٨.

دراسة مقارنة بين الموسوعة العربيّة الميسّرة ودائرة المعارف الإسلاميّة

بين الموسوعة والدائرة وجوه تقارب ووجوه اختلاف، نذكر منها :

أ- وجوه التقارب :

- يعتبر العملان من الموسوعات العامّة غير المتخصّصة في نوع واحد من العلوم، بل هما شاملتان للعديد من العلوم والمعارف.
- العملان تعاون على وضعهما ثلّة من المتخصّصين.

- اعتمد مؤلّفو الموسوعتين في ترتيب الموادّ على الترتيب الألفبائيّ.
- اعتمد المؤلّفون مختصرات لألفاظ تتكرّر في الموسوعة.
- ثمانون في المائة من الموادّ متشابهة، مع الفارق الكمّيّ من حيث الشرح والتفصيل أو الاختصار والإجمال.

ب - وجوه الاختلاف :

- الموسوعة العربيّة الميسّرة وضعت من قبل علماء عرب وباللغة العربيّة، أمّا دائرة المعارف الإسلاميّة فقد وضعت من قبل مستشرقين غربيّين وبلغة غير عربيّة ومن ثمّ ترجمت إلى العربيّة.
- أبصرت دائرة المعارف الإسلاميّة النور سنة ١٩٣٤م، أمّا الموسوعة العربيّة الميسّرة فقد ظهرت سنة ١٩٦٥م، أي بعد حوالي ثلاثين سنة.
- تتألّف الموسوعة من مجلّد واحد، وتتألّف الدائرة من ثلاثة وثلاثين مجلّداً.
- تفرّدت الدائرة بذكر المصادر والمراجع المتعلّقة بكلّ مادّة بعد الانتهاء من عرضها، إضافة إلى ذكر اسم الباحث الذي قام بتحضيرها وجمعها، وهو أمر غير موجود في الموسوعة.
- تميّزت الدائرة عن الموسوعة بأنّها دُرست مرّتين، مرّة من قبل المستشرقين ومرّة من قبل المترجمين، ممّا أسهم في تنقية موادها وتنقيحها.
- قام بوضع الموسوعة ما يزيد عن خمسين عالماً في اختصاصات متنوّعة؛ أمّا الدائرة فلم يتجاوز واضعوها ثمانية أشخاص في المرحلو الأولى ثمّ ازداد عددهم قليلاً.
- اعتمدت الموسوعة نظام الجداول في عرض بعض موادها، ولم تُستخدم الجداول في الدائرة.
- تتفاوت الشروحات بين الدائرة والموسوعة في المادّة الواحدة؛ فمادّة " الأدب " جاءت في الموسوعة في ثلاثين صفحة بينما في الدائرة لم تتجاوز الصفحة الواحدة. أمّا مادّة " البوسنة والهرسك " فقد جاءت في الدائرة في ثلاث وعشرين صفحة بينما لم تتجاوز في الموسوعة ثلاثة وعشرين سطراً.
- تفرّدت الموسوعة بالرسوم والخرائط الموجودة في آخرها ولم نجد هذه المتمّمات في الدائرة.

هذه بعض وجوه التقارب والاختلاف بين الموسوعة الميسّرة ودائرة المعارف الإسلاميّة، التي أستطعت أن ألحظها من خلال دراستي السريعة.

خاتمة

إنّ صناعة الموسوعات عمل خلّاق مبدع، وهي حاجة ضروريّة لكلّ مجتمع يصبو إلى التطوّر والرقيّ، وهي الهدف الذي سعى لتحقيقه واضعو مثل هذه الأعمال، ولعلّ نجاح هذه الأعمال ناتج بالدرجة الأولى عن كفاءة من وضعها، إضافة إلى التعاون الذي كان قائماً بين المؤلّفين؛ أضف إلى ذلك شموليّة المواضيع وغناها في غالب الأحيان.

إلا أنّ أيّ عمل لا يخلو من هنات وسقطات شأن أيّ عمل بشريّ؛ وممّا لحظته من الهنات في العملين:

- إهمال كلّ من الدائرة والموسوعة لموادّ مهمّة، فقد نجد بعض الموادّ التي في الدائرة غير موجودة في الموسوعة والعكس صحيح.
- أكثرت الموسوعة من ثبت لأعلام غربيّين مغمورين ومدن غربيّة غير مشهورة، الأمر الذي خالف ما انتهجه الدارسون لدراستهم. فقد ورد في مقدّمة الموسوعة أنّ المؤلّفين سيركّزون على الأعلام العرب والمدن العربيّة وسيشيرون إلى القليل من غير العرب الذين أثّروا في حضارة أممهم، وكذلك بعض المدن التي لها شهرة تاريخيّة وعالميّة؛ وربّما كان سبب هذا الخلل هو كثرة الاعتماد على موسوعة كولومبيا والمبالغة في النقل عنها.
- ولا أكون متجنّياً إذ اعتبرت أنّ من الأهداف الرئيسة غير المعلنة لوضع دائرة المعارف بثّ بعض السموم والدسائس في الحضارتين العربيّة والإسلاميّة، وبالتحديد في العقيدة الإسلاميّة وتراثنا الدينيّ لزرع الشكّ ونثر بذار التفرقة بين مكوّنات هذه الحضارة، و هذا ما اعتدنا

عليه في الكثير من الكتب التي كتبها المستشرقون.

ولكنّ هذه الأمور تصدّى لها المترجون، وكانت لهم التعليقات المناسبة والتصويبات الهادفة.

وسوف أتناول مثالاً على ذلك لأؤكّد صحّة ما ذهبت إليه؛ وهو مثال من عشرات الأمثلة التي وجدتها في الدائرة:

ورد في المجلّد الثاني، ص ٥٥٨، تحت مادّة " الله " محاولات لزرع الشكّ في عقيدة المسلمين والمساس بها، وإثارة الظنون والشكوك حول القرآن الكريم، كما حاولوا التشكيك بنسبة الأحاديث الصحيحة التي أجمع المسلمون على صحّتها كصحيحي البخاريّ ومسلم، وكذلك الطعن بالكثير من الصحابة الذين رافقوا الرسول الكريم (ص).

وقد ردّ كلّ من أحمد محمود شاكر ومحمد عاشور الصديفي وجاد المولى على هذه الادّعاءات وفنّدوها تفنيداً علمياً.

وسوف أنقل مجموعة من الشُبه التي حاول أصحاب الدائرة إثارتها حول القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية والرسول محمّد (ص) في مادّة : " الله " :

أ- أنّ محمّداً (ص) حملته لوازم السجع على وصف الله بعدّة صفات يتردّد ذكرها كثيراً في القرآن الكريم.

ب- أنّ محمّداً (ص) يصف الله تعالى بأوصاف هي في الأفراد ذمّ كالجبّار والمتكبّر.

ت- أنّ عبارات محمّد (ص) في وصف الله متناقضة.

ث- أنّ محمّداً (ص) أخذ بعض صفات الله من العبريّة كما في صفة البارئ، أو من النصرانيّة كما في صفة السلام والتي قد بقيت عالقة في ذهن محمّد (ص) من صلوات النصارى.

ج- ولسنا نعرف على التحقيق المعنى الذي يريده محمّد (ص) من كلمة القدّوس.

ح- أنّ أسماء الله الحسنى تبدو لأوّل وهلة خليطاً غريباً من الألفاظ الدالّة على التجسيم والعبارات الميتافيزيقيّة.

هذه المغالطات والشكوك حاول هؤلاء المستشرقون غرسها في مادّة واحدة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على الكمّ الكبير من الشبهات التي حاولوا وضعها بين ثنايا دائرتهم لمآرب حاولوا تحقيقها، والتي واجه أكثرَهَا المترجمون.

دعوة

إنطلاقاً من كلّ ماسبق، وتلافياً للمخاطر والمحاذير التي تتهدّدنا إن تركنا ساحة التأليف لغيرنا، واستلحاقاً لما فاتنا من معارف وعلوم، واستدراكاً لما استجدّ من مخترعات واكتشافات؛ فإنّ وضع موسوعة عربيّة حديثة شاملة من بنات أيدينا نحن العرب والمسلمين بات ضرورة ملحّة وحاجة ضاغطة، يحتاجها جمهورنا المثقّف الذي يبحث عن الحقائق العلميّة والمعلومات النافعة، من المراجع الموثوقة والجامعة، والمواكبة لكلّ جديد؛ ولكنّ تأليف الموسوعة الجديدة يجب أن يلحظ التالي:

- أن يصدر قرار من الجهات المعنيّة في مجال العلوم والتربية في العالمين العربيّ والإسلاميّ بالبدء بهذه الموسوعة.
- أن نأخذ المبادرة على عجل فقد سبقنا الأتراك والإيرانيّون إلى ذلك.
- أن يُرصد لها المبالغ الكافية، والتي تليق بمثل هذا العمل الجبّار.
- أن يكون واضعوها من عالمنا العربيّ والإسلاميّ وممّن غرفوا من حضارتنا وانتموا إليها قولاً وفعلاً.
- أن تُكتب بلغتنا ليفهمها أبناء جلدتنا.
- أن تُترجم بعد ذلك إلى اللغات العالميّة.
- أن يتعاون على وضعها متخصّصون من جميع الاختصاصات.
- أن تحيط بكلّ ما استجدّ من علوم وأبحاث وأحداث واكتشافات واختراعات.
- أن يُصحّح ما سبق نشره من أخطاء في الموسوعات السابقة.
- أن يتحرّى واضعوها الدقّة والمنهجيّة العلميّة والموضوعيّة.
- أن لا نعتبر الموسوعات الالكترونيّة بديلاً عن الموسوعة الورقيّة.

الحواشي

١) باشا، محمد. معجم الكافي. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. ١٩٩٢م.

٢) الكرمي، حسن سعيد. معجم الهادي إلى لغة العرب. دار لبنان للطباعة والنشر . ج٤.

٣) البستاني، بطرس. دائرة المعارف. مكتبة لبنان.

٤) وجدي، محمد فريد. دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر.

٥) وضع مجموعة من المستشرقين.

٦) وضع مجموعة من المتخصّصين العرب.

٧) محمد فريد وجدي.

٨) عبد الرحمن بدوي.

٩) عبد الرحمن بدوي.

١٠) مجموعة من الاقتصاديين.

١١) فنسنك- هوتسما- ارنولد- هفننج- بروفنسال- ياسييه- هورتمان- جب، ثمّ انضمّ إليهم مجموعة أخرى.

٢) بإشراف كراموز وجيب وبرنارد لويس.

٣) عبد الحميد يونس، إبراهيم زكي خورشيد، محمد ثابت الفندي، أحمد الشنتاوي.

١٤) دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الرابع، مادة تحريف.

١٥) المصدر نفسه، الجزء الأوّل، مادة ألف.

١٦) المصدر نفسه، الجزء الأوّل، مادة إبراهيم.

لائحة المصادر والمراجع

١- باشا، محمد. معجم الكافي.شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. ١٩٩٢م.

٢- بدوي، عبد الرحمن. موسوعة الفلسلفة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٠م.

٣- البستاني، بطرس. دائرة المعارف. مكتبة لبنان، ١٩٧٧م.

٤- الكرمي، حسن سعيد. معجم الهادي إلى لغة العرب. دار لبنان للطباعة والنشر.

٥- مجموعة مستشرقين، دائرة المعارف الإسلاميّة. الشارقة، ١٩٩٨م.

٦- مجموعة متخصّصين، الموسوعة العربيّة الميسّرة، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، بيروت-لبنان ١٩٩٨.

٧- وجدي، محمد فريد. دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، لبنان.

١